

(الارتقاء في درجات تلقي معاني القرآن) كتاب أوصلنا إلى قطاف مثمرة



رولا عبد الرؤوف حسينات/ الأردن

الذي ما لبث أن غذى سلوكيات جماعية حملت مسمى (إسلام)، وساهمت بفرز نوعي لأجيال متباينة: جيلاً من القائمين على التفرد النوعي المميز للفرد، ضمن المنظور الوسطي، وجيلاً حمل المنظور التطرفي، وقد أشرب من نوازع ظالمة، لتسمى فيما بعد بـ(الإرهاب الإسلامي).

فالتطرف في اللغة: هو الوقوف في الطرف، وهو عكس التوسط والاعتدال، ومن ثم فقد يقصد به التسبب أو المغالاة، وإن شاع استخدامه في المغالاة والإفراط فقط. والتطرف كذلك يعني: الغلو، وهو ارتفاع الشيء، ومجاوزة الحد فيه. وفي (المصباح المنير): غلا في الدين غلواً، من باب: تعد، أي تعصب وتشدد حتى جاوز الحد. فالتطرف هو الميل عن المقصد، الذي هو الطريق المبسر للسلوك فيه، والتطرف هو الذي يميل إلى

سبيل الارتقاء القرآني في مواجهة التطرف كـ بهذا المدخل، أتحدث عن هذا الكتاب الجديد الذي بين يدي، لأقول بأن الناظر للخريطة العامة للمعمورة بأهلها، على اتساع الرقعة الامتدادية للوجود الإسلامي، يجد الشخصية المسلمة، التي أثبتت وجودها من قبل ألف وأربعمائة عام، حيث ولجت إلى دين الرحمة السماوية، لتدفع عنها أعباء المادية .. العبودية.. الظلم والفجور.. على الرغم من تباين العوامل الأيديولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتفاوتة لصقلهم معا، ولكنها بولوجها إلى بؤرة الإسلام شكلت الشخصية المسلمة، بإحداثيات ثابتة تميز الدين الإلهي، خاتم الأديان السماوية للسلام والطمأنينة، الحوار والتبادل الثقافي، التسامح والعدالة والمساواة.. غير أن تشتت نهج السلوكيات الفردية،

أحد الطرفين.

التطرف في الاصطلاح: يرتبط بأفكار بعيدة عن ما هو متعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً، دون أن ترتبط تلك المعتقدات بسلوكيات مادية متطرفة، أو عنيفة، في مواجهة المجتمع أو الدولة. ويرى البعض أن التطرف يحمل في جوهره حركة في اتجاه القاعدة الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية، يتجاوز مداها (أي الحركة) الحدود التي وصلت إليها القاعدة، وارتضاها المجتمع.

إن التفريق بين الإرهاب والتطرف هو مسألة جد شائكة، وذلك لشيوع التطرف والإرهاب كوجهين لعملة واحدة، ومع ذلك فالفرقة ضرورية. ويمكن رسم أوجه الاختلاف بينهما من خلال النقاط التالية: التطرف يرتبط بالفكر، والإرهاب يرتبط بالفعل، كيف ذلك؟

قلنا إن التطرف يرتبط بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعارف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً، دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة. أما إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي، أو التهديد بالعنف، فإنه يتحول إلى إرهاب. فالتطرف دائماً في دائرة الفكر، أما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى أفعال عنيفة من السلوك، من اعتداءات على الحريات أو الممتلكات أو

الأرواح، أو تشكيل التنظيمات المسلحة، التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة، فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب.

التطرف لا يعاقب عليه القانون، ولا يعتبر جريمة، بينما الإرهاب هو جريمة يعاقب عليها القانون. فالتطرف هو حركة تجاه القاعدة الاجتماعية والقانونية، ومن ثم يصعب تجريمه. فتطرف الفكر لا يعاقب عليه القانون، باعتبار هذا الأخير لا يعاقب على النوايا والأفكار، في حين أن السلوك الإرهابي المجرم، هو حركة عكس القاعدة القانونية، ومن ثم يتم تجريمه.

يختلف التطرف عن الإرهاب أيضاً من خلال طرق معالجته، فالتطرف في الفكر، تكون وسيلة علاجه هي الفكر والحوار. أما إذا تحول التطرف إلى تصادم، فهو يخرج عن حدود الفكر إلى نطاق الجريمة، مما يستلزم تغيير مدخل المعاملة وأسلوبها..

الإرهاب بذاته تهيئة منطقية لمفاضلة السلوك، التي تتبنى تصوراً منطقياً في أجندتها عديمة الرحمة، في إنهاء وجود المسلم بذاته، بتقتيل المسلمين علانية في أرض الله، ثم غيرهم، في أطر ضيقة من الحكم والقضاء في التطهير العرقي، وهي أبعد ما تكون عن الرسالة السماوية التي عمت البشرية، بالسعادة والخير والإنجاز والإبداع. وهنا نجد أننا أحوج بأن نعود للقرآن

في الرسالة الاتصالية.

للمتفحص في ماهية الطرح لجموع هذه الكتب، التي وقفت على قضية المتلقي، وآلية تلقي النص القرآني بوسائط ناقلة، تتباين في الأسلوب والنمطية والانبعاثات العاطفية أو القلبية، نجد أنها أسهبت بشكل مستفيض بقضية بحثية، تمايزت، وكيفية طرح الكاتب السوري (عبد الباقي يوسف)، وهو تشكيل لقضية خصص لها كتاباً مفصلاً، محكماً في طرحه وغايته، ليس منوطاً بكيفية التلقي، بل والارتقاء في تلقي معاني القرآن الكريم، بسلاسة تفهيمية مقربة، بل محبة للقلب.. حيث لم يعمد الكاتب إلى تعقيد الصورة في الطرح بل تبسيطها، ليصل إلى أكبر شريحة، مسلمة كانت أم غير ذلك..

بأسلوب دعوي لمشوق عاشق للقرآن، صاحب بترتيله آناء الليل وأطراف النهار، وما جنح لرخامة اللفظ والتعقيد، بل انسيابية مريحة من الملقى للمتلقي، ليعتلي درجة متقدمة من التقييم، من حيث القبول والقراءة، بل وإعادة قراءة الكتاب لأكثر من مرة، بعيداً عن الملل..

كيف لا، وهو يمحس بمذاقة آيات الله ليفرد تلامسها الحياتي مع كل مفردة سلوكية كاستجابة أو كسلوك فطري.. (عبد الباقي يوسف) روائي وكاتب سوري، تفرد بأسلوبه الروائي بطرحه الكتاب، وسهولة

الكريم كحكم في تشكيل الشخصية الإسلامية، بعلاقاتها المتداخلة مع غيرها من الأمم والعالم الإسلامي، على اعتبارية {لا إكراه في الدين}.. بالعودة إلى القرآن الكريم، والتمعن فيه، والتدبر بآياته، لإحلال روح السكينة والألفة، وتوسيع قاعدة الفهم العامة، المترابطة مع العولمة بأوجهها المختلفة.. وقد ناقشت عدد من الكتب فكرة التلقي والرقي بطرائقها، وقد تنوعت بأساليب عرضها للدارس، وفق معايير متباينة بين السهولة والتعقيد، ومن بين هذه الكتب التي فصلت فكرة التلقي: (نعت الدرجات لتلقي القرآن والقراءات)، للكاتب (صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي)، ويحمل الكاتب في مضمونه ما يجب أن يتصف به الطالب والدارس في أدب القرآن الكريم، وتلقيه، والحرص على الرقي في تقانة التجويد، ومخارج الحروف. وتعرض للقراءات العشر، وغيرها من القراءات.

ومنهما: الحضور القرآني والصوفي في (مواقف الألف) للشاعر (أديب كمال الدين) لـ (فاضل عبود التميمي).. وكذلك كتاب (كيف نفهم القرآن الكريم؟) للكاتب (عبد السلام بن إبراهيم بن محمد الحصين)، وهي دراسة في كيفية فهم المتلقي للقرآن الكريم. وقد تعرض بطريقة سلسلة لأساليب الإقناع في القرآن الكريم، ووسائل وأساليب الإقناع

النطق اللغوي، ليتوافق ومخارج الحروف، وليكون القرآن سلسلاً في التعايش اليومي.. وهو الكتاب السماوي الذي ما كان نزوله على سيد المرسلين وخاتم النبيين إلا هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، يفرض الطريق اللاحقة ظلاله على حامله، ليرقى به إلى حالة من التوازن العاطفي والعقلي، في جميع مجالات الحياة.

لقد قدم لنا الكتاب مقومات التشويق الخاكي لنسيج الحياة، متغلغلاً في شغفات لفائف متراكمة من التلقي النوعي المعرفي.. فهو الإنسان المنوط به المسؤولية، المستخلف في الأرض، مدللة له بالكيفية التي يرضاها بفطرته السليمة، ليقدم قرايين الشكر لله تعالى على هذه الهبة، مستقرناً النصوص، متدبراً أحكامها، لينفذ هبة الله له على أكمل وجه، وعلى أحسن صورة، وليستقر أمره بالعبادة، حمداً وشكراً لرب السماء والأرض..

التحوّلات الكبرى

استقبلنا الكتاب بالتحوّلات الكبرى، بمفردة القدريّة: وما كان لينفعك ما كان ليضرّك، فكل بأمره، بيده الأمر كله، عالم الغيب، الرحمن الرحيم.. ليعجل علينا يقين الرحمة الإلهية، وهي الفاتحة، ومن ثم ليختم بسورة البقرة، وهما هبتا الرحمن من تحت العرش، منتان من الرحمة.. تلکم السبع المثاني

التبحر في عبابه، والانتشاء بقيمه.. له العديد من المؤلفات الروائية، والناقدية، والكتب الإسلامية، مبرزاً لنا حصيلة فكرية متقدمة، مبسطة في منهجية التلقي ذاتها، بين أصول البنية التكوينية للتواصل بين الملقى والمتلقي، وماهية الكتاب، الذي يتداول فيه موضع الإلقاء، بطرائق لم تكن عبثية في اختيار أوجه البحث، ليحمل هكذا عنوان، يناقش فيه النص القرآني من منظور موضوعي عقلائي.. وعرض ذلك من خلال بابين: (نور السماء إلى ظلمة الأرض) و (فضل القرآن على الإنسان).. لعلني أستفيض وروح الكاتب بدلالته وطرحه من روح معطاء عميقة، في الدلالة والاستدلال على واقع الصلة بين القرآن والمتلقي، وهو ليس كأى كتاب يُملأ ويهجر، إنما كتاب متطور في الطرح، متوافق بين كل معتركات الحياة، بشرائع ونصوص وآليات تفكيرية.. وهو الكتاب المتجلي إنسانه فيه، من حيث النوعية القرآنية، أو المغزى من التدبر والدعاء والغاية الاستدلالية، التي تنمي تلکم العلائق العميقة بين القرآن ومرتلته.

وقد تعددت القراءات لتتوافق واحتياجات الفهم والإدراك لجميع المسلمين حول العالم، من حكمة يقينية من الخليفة (عثمان بن عفان)، ثالث الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وأرضاهم، وفق منهجية السلاسة في

السلوكية، القائمة على العقلانية المنطقية في ضرورة التواجد المتوازن للشخصية التكاملية، بالسلوك المتعبد في الصلاة أو الصيام وغيرها، وأهمية الغاية منها بثورة التفسير..

فقه حدود الله في التلقي القرآني

ودرج بنا الكاتب في تبيان تقسيم آيات القرآن الكريم، التي ما يدرك حصافتها إلا متعمق دارس.. وقد نهل من جل وقته معرفة خالصة، يَبْنِها بضع سطور، نغتم فيها الرؤية المتكاملة للنص القرآني، وأنواع الطرح فيه، ليرقى بنا ليس من مجرد قارئ أو مسترسل بعينه، بعلم أم بغيره، لِيُعَدَّنَا لتتفقه بأمور ديننا، وإن لم نصل لمراتب المرتلين..

"انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع: ثلاثة منها هي السوابق، والأصول المهمة، وثلاثة هي الروادف والتوابع المغنية المثمة. أما الثلاثة المهمة، فهي:

١ تعريف المدعو إليه.

٢ وتعريف الصراط المستقيم، الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

٣ وتعريف الحال، عند الوصول إليه.

وأما الثلاثة المغنية المثمة — فأحدها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة، ولطائف صنع الله فيهم، وسره ومقصوده: التشويق والترغيب. وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة، وكيفية قمع الله لهم، وتنكيله بهم، وسره ومقصوده: الاعتبار، والتزهي.

والقرآن العظيم.. لتبتل وإياه في التفحص الدقيق لآياتهما، كل على حدة، بالمعنى والمقصود، لينطق طاقة العقل المكبوتة المصفدة بغيبية الغاية، إنها ليست مجرد آيات بقدر ما تقوم به من النطق الأجوف للآيات، لكنه أسلوبه العقلي في المخاطبة، للتقرب لمنابت الرحمة: رحمة الخالق بالعبد الفقير الذي ليس له ملجأ ومنجى منه إلا إليه، وإن بلغ هذا الإنسان أعلى المراتب، فسيبقى صغيراً أمام عظمة الخالق.

فالرحمة استأثر بها الخالق، وجعل للخلق جزءاً بسيطاً منها، ليتوب إليه مسيء الليل، ومسيء النهار.. يبتغون رضوان الله.. إنها المصالحة مع الذات لتحقيق التوازن، لتحيل الذنوب إلى نعم بالحسنات.. ووصل بنا الكاتب لمفردات لم تتجاوز تصرفاتنا الذاتية، ليعيد إلى أذهاننا أهمية البسمة في كل حال، وفي كل زمان، ومع أي أمر، لتغير كل مكونات الوجود بقيمته، وكونه من التهذيب الذاتي.

وهياً لنا هذا الكتاب مرجعية تفسيرية للولوج للنص القرآني، من وجهة تفسيرية تقويمية للسلوك الفردي، بتهيئة الجو العام، والخلق الكريم في السلوك القويم، وأوجد النقيض، ليتنبه العقل بخطأ التضادية السلوكية..

وعليه فقد بنى لنا بنياناً من التهيئة الحسية

البشري

ليستنير في ظلال قرآنية، حصيف في عمله وإنجازه.. ليقيم الفرد من خلاله هويته، مهارته وإتقانه، عبثته واستهائته، أم ازدواجيته وإفراطه، توحده جنونه وبلهه، وضاعته وإسفافه.. ليثيرنا الكاتب بمخاضية جديدة، وهي الإبحار في المرئي والمسموع وإعمال الحواس.. ليوظفها ضمن منهجية تأديبية، تتأبى على أزقة الظلام والضلالة.. ليعرّفنا بالقليل والكثير.. أعطانا بشفافية مطلقة النتيجة، وارتحل بنا إلى تبيان معاني العقل.. ولم يكتف بذلك فقد انبرى يتساءل عن اللسان، وهو إدراك المضمون العقلي بترجمة نصية من الحواس، وعلى رأسها اللسان، لنذكر أنه ما يوقعنا في غياهب الجحيم، لنكف عنا ألسنتنا، صنائع أعمالنا، ومذهب حسناتنا، ليحفظه بالسرد علمياً ودينياً، ويبقى العقل، ومكانة القلب، بأسلوب مقارب للمخيلة البشرية..

يقول الله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق: ١٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: "إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكدّر اللسان (تذل له وتخضع) تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقممت استقممتنا، وإن اعوججت اعوججتنا" (الترمذي). وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم

وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائهم، وجهلهم بالمجادلة والحاجة على الحق، وسره ومقصوده، في جنب الباطل: الفضح والتنفير، وفي جنب الحق: الإيضاح والتثيت والتفهير.

وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد. مفصلة السوابق والروادف والتوابع المغنية المتممة..

لقد أوجد الأديب اليوسف في كتابه القيم، بطريقة ما مدخلاً لبوابة زمنية تفصلنا عن ترهات حياتنا، الحدود.. ومن منا لا تشكل له الحدود هاجساً.. غاية.. عبثاً..؟

أيا كان ما تشكله الحدود لنا، فهي موجودة بواقع جغرافي متأصل الجذور، وإن كان أمرنا مصغراً في البيت الواحد، المكتب الواحد.. بل السيارة أو الوسيلة التي تنقلنا، توجد لنا حدوداً، بل وللآخرين.. تلك الحدود التي لا نؤذي بها أنفسنا والآخرين.. فليست لله الحدود وحسب، فله ملك السموات والأرض.. يا من هو في السموات إله، وفي الأرض إله.. إنه تأدبنا في حواريتنا مع الخالق بأدبية الحوار، العلاقة التي توصلنا إلى أبواب رحمته، أليست هي مقصدنا ونحن مسافرون نحمل حقائبنا، وما كدنا نتبلغ رشفة الماء..؟

سمو العلاقة بين الإرسال الإلهي والتلقي

مناحي الحياة.

المتلقي لمعاني القرآن الكريم ليس ذلك النص المفرغ جمود الصخر وتخلف الأيام، إنما هو نص مرن شمولي: بلاغة وحصافة وقصداً ومدلولاً ومعنى، كلٌّ متكامل منهجاً ونصاً.. كيف لا وهو الرسالة الإلهية، خاتمة الكتب السماوية، ليستمتع فيه في كل حين، وكأنه يرتل لأول مرة، بكل زمن، وكأنه في غيره المكان.

ومن خلال جلّ كتابه، نأى الكاتب إلى ظلال من تشابهه، ومحسنات لفظية، ودلالات قلبية وعقلية، وبلاغة، وكناية، وتشبيه تمثيلي، والتي هي مجملها صور فنية بأسلوب سلس متسلسل شيق، نابع من خالص التفقه اللغوي، براعة المعلم للمتلقي، والشارح للدارس، والمتضادات في قنوات الحياة: الماء والحياة، سنبلة الصدقة..

قارئ القرآن وفقه الموقف

(أم سليم الأنصارية) والنبية القصصية المفصلة لجدلية الصورة بمفردات شاخصة في التاريخ، لتبرز الفكرة العامة التي أوردتها في بداية النص، ثم أتبعها بمناقشة الخصائص.. للمرأة والرجل على حد سواء، مبرزاً دورين متساوين متوازنين، ليضرب لنا المثل القدوة في الحياة السلوكية، زوجية كانت أم عملية، في مناحي الحياة المختلفة. وقد أبرز مدى تحرر المرأة المسلمة، في البحث

قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه" (أحمد). وقال ابن مسعود: "والذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان".

وما يقع من أمراض اللسان، من: النسيمة والغيبة والكذب واللغو في الحديث والسباب والفجور والمكر والخديعة، وغيرها، موغر في الصدر.

إنه الصوم عن كل رذيلة، إذ ربط (عز وجل) الصوم بأن يكون بلا فسق أو فجور، والحج كذلك، بل الإيمان ذاته: المؤمن من أمن المسلمون من يده ولسانه.

لم يكتف الكاتب بالمأثور من القول، وترجمان القرآن، وتأييده بالسنة الشريفة، وأقوال الصحابة، وما مر من التاريخ، لكنه ربطه بالتطور التكنولوجي، من وسائل متطورة، تفتح قنوات الاتصال على رحابتها، فجعلت لغة التخاطب متنوعة موجهة، لتزد مساحات فضفاضة في الخطاب، إذ إن القرآن الكريم، بكيفية الإلقاء والتلقين، هو متكيف متجدد بالقيمة والمنطق.

المقارنة كأسلوب تتبعي للنص القرآني المتمثل فيه ذات الأسلوب، من التوجيه الإلهي، ليعتبر أولوالبصائر. فأصحاب النار قبيلهم أصحاب الجنة. وأصحاب الدسائس والغدر، يقابلهم أصحاب العلم والدراية والحكمة والإبداع، بكافة صوره، في شتى

المتوازنة، بل هي التي ترجح بعقلها ورزانتها.. وهل تقل عن أن تكون كائناً مصوناً، كما نبته سحرية ما يبين منها إلا عطر فواح؟! ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾.

﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾.

﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾.

فليكن المرء فينا صاحب الموقف، هي الدعوة الصريحة للإيجابية، للمنع، للعطاء، للبناء، وللثبات على الفطرة السليمة، المتينة بقدرة الله وإرادته، التي يفرزها عميق إسلامه وإيمانه، في الأفعال، والأقوال، وغيرها، واستنهاض القوة في إيجاد الخطوة المناسبة، وتيقن الخطوة المقبلة، التي يفيد منها الفرد ذاته، واجتمع..

معالم الطريق ومنعرجات الفوضى

أوقفت يوماً عند الإشارة الضوئية؟! وانتظرت لدقائق طويلة في الزحام؟! لتنير بأضوائها الثلاثة، التي كل منها تعني الكثير لنجاتك، ووصولك الآمن لمبتغاك.. أرايت لو كنت غير قادر على رؤية الطريق، وعيناك معصوبتان.. أو لسبب ما، ألم بك، ولم تستطع الوصول للضفة الأخرى من الطريق، دون أن تمد لك يد لتساعدك، لتميل عليها ميلة واحدة، وأنت كامل الثقة بأنها ستوصلك إلى حيث تريد دون أن تلحق بك الآذى، إنه الطريق الإيمانى الذي يبين لك منهج الحياة كلها، بخيرها وشرها.. بل يبدع في تصويرها،

العلمي والأدبي والفقهى، والعمل والإنجاز، والمبادرة والقوة، العنقوان لدى المرأة كلاعب أساسي في مغارب الحياة ومشارقتها.. قالت (أم سليم) قولتها الشهيرة: يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء، انهزموا بك. فقال رسول الله: "يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن". إنها نقطة البداية التي أوردنا الكاتب إليها، لنستبق الزمن، ولو لساعة، نتساءل فيها: من نحن؟؟ وما أنت أيتها المرأة: كائن الجمال، أم كائن معجون من عجينة العطاء والصبر؟؟ ماذا قدمت كل منا لنفسها، أو لبيتها وأسررتها؟؟ ما هي نصوص الرسالة المثلى التي تنادي بها، كأرضية لرفيها، لقيم وجودها؟؟ لقد حفظ الله المرأة، بل عنون لها أبواب حياتها، ورسم منهجية الوصل الآمن في معتركات الحياة. لقد كانت المرأة متاعاً يوماً، فأمن لها الله تعالى حقها في الحياة، والاختيار، والتعلم، والشخصية الاعتبارية، والتصرف المالى، والميراث، وحقها الدعوي التفقهى، ومنحها كل مقومات أن تبلغ فيها عنان الإنجاز والإبداع، مصونة معززة مكرمة، في أطر تحفظها من نفسها أولاً، ثم الآخرين، لتكون ثمينة، كما لؤلؤة في جوف محارة، ما ينالها إلا الصياد الحصيف. إنها المرأة، التي أفردها الله تعالى بنصوص قرآنية، لها دون سواها، بل كرمها بسورة حملت اسمها.. ومن غيرها يعين على فواجع الزمان.. إنها الكفة

في التقول والقول ذاته..

إنه الدين الحنيف الذي يرتقي بنا، مفصلاً كل جوانب حياتنا.. فهو الذي يفسرنا كمرآة، وكصفحة ماء: ميولنا، تركيبنا، مزايانا.. تلکم النزعات الصغيرة والروح فينا.

خاتمة البحث

وجاء هذا الكتاب ليوصلنا إلى هذا الرقي بتهيئتنا لبداية جديدة، لم يتصف نصه بالسرد المفرع بلله، بل يبقينه القائم على الروية، متميزاً بجذلية الحوار مع الإنسان، كحالة في كل مفردات وجوده، وليس كجملة لم تمهد لفصل.. بشحنات من التشويق والإثارة، وتفسير المفرد، ليس بعفوية تامة، بل بعفوية زواج فيها التفسير المنطقي للمفرد، الذي قدر ليكون تفسيراً شرعياً، لمجموعة من السلوكيات الواجبة.. القسط والاعتدال، كتوجيه للسلوك.. فقد أكد على الإقسط، وجعل له جزءاً بارزاً في الحدث، في المآكل، والمشرب، والإنفاق.. الغلو في الشيء..

لقد جعلنا، بسلاسة، طوافين مرتحلين في فيضه، كيف لا وهو كتاب معمق البحث في النهج القرآني القويم.. لقد أوردنا الكاتب لتشرأب ضلوعنا في حلاوة موئلها، الروح حلوة ندية حرة لتزوي من نجيع المعرفة.. ألفاظه الجزلة.. لغة العرض المبسطة، في أبعاد النور المتوهج للنص القرآني على المتلقي، من

تصنيفها.. طرق وعشاء، قفراء، مليئة بالأشواك، فيها مجون الدنيا وهوها، وكل شقوتها، وإن كانت تمنحك سعادة الخروج عن المألوف، لكنه ملك الساعة، ومنتهاه التهلكة: نار تلتظى.. وطريق مليء بالخير والعطاء والمنح والأخوة، من غير ظلم ولا تظالم.. بفطرة سليمة، ونهاية في جنة عالية، سقوفها دانية، فيها كل ما اشتيت، وكل ما امتنت عنه في الدنيا، لناله في الآخرة، وهي دونك.. أو ليس هذا الصديق مبدع حقاً في منحك الصورة الكاملة لنواتج سلوكك؟؟!! النهاية، كل ما يسعى إليه كل منا معرفة الغيب، وما سيحصل معه غداً، وإن أتت النهاية على طبق من ذهب، بل جعلت لك استراتيجيات واضحة لتسلك أي الطريقين.. فقد زين الله لك متاع الحياة الدنيا بقوله: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ آل عمران ١٤.

ويخاطب الله نبيه قائلاً: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ القصص ٧٧.

إنه منهج التزويض للأهواء الممنحة للنفس البشرية، ليكون الإنسان سيد الساعة، لا عبدها، وبالتزويض تتمكن من الأناة والخبرة

كافة المراحل العمرية، ولجميع المتلقين ..
 ليبقى القرآن الكريم هو منهج الحياة، بنية
 مترابطة مع كل مناحي الحياة الواقع والأمل..
 لعلني أحتتم قولني بقول نشرته السيدة
 (جليلة مهدي) عن هذا الكتاب، الذي تقول
 بأنه بعد قراءتها له، قد غير حياتها من حال
 إلى حال، وقد تداولت وسائل الإعلام
 مقالاتها، ومنها:

"لم أكن أعلم أن مصادفة غريبة من نوعها
 سوف تتسبب في هذا المنعطف الأكبر الذي
 زلزل لي أركان حياتي كلها، حياة شارفت
 على الثلاثين، مضت وفق غمط معين... لم
 أكن فيها آبهة كثيراً بقضايا الدين، وأحياناً
 كنتُ أراني منفصمة عنه، خاصة في الفترة
 الأخيرة، التي شاهدتُ فيها أناساً يرفعون راية
 الإسلام، ويتسببون بإلحاق كل هذا الأذى
 بالناس، وهم الذين تسببوا في تركي لسيتي في
 (الموصل)، واللجوء مع زوجي وأبنائي إلى
 الشتات، لقد أحدث ذلك شرخاً كبيراً في
 نفسي، وفي نفوس الكثيرين ممن أعرفهم عن
 قرب.

هكذا إذن... كما تعصف السماء فجأة،
 وتنهمر منها الأمطار، لتغسل كل شيء،
 وتؤسس لربيع هذه الطبيعة... بعد ثلاثة أيام
 من ذلك، اقتنيتُ لأول مرة في بيتي القرآن،
 وبدأتُ أقرأه للمرة الأولى، إذ لم يسبق لي أن
 أمسكتُ بالقرآن وقرأته، رغم أنني مسلمة،

ثم بدأتُ أتعلم الصلاة وأصلي، وهي المرة
 الأولى التي أصلي فيها.. وعلى رأي المثل،
 فدرب ضارة نافعة).. فقد هربنا من رعب
 المسلمين هناك، لندخل باب الهداية إلى
 الإسلام هنا... لا أقول بأنني الآن أختار أجمل
 ما في هذا الكتاب.. ولو كان الأمر بيدي
 لكتبته كله حرفاً حرفاً ونشرته.. لكنني في
 الآن ذاته أقتبس بعض عباراته، التي كان لها
 الأثر الشديد إلى هذا التحول المفصلي في
 حياتي، وأنا أرى بأن هذا الكتاب تحول
 بالنسبة لي إلى صيدلية روحية، لا يمكنني بأي
 حال من الأحوال الاستغناء عنها.. القرآن
 الكريم هو دعوة للإنسان، كي تستيقظ
 حواسه على مدركات الحياة، فيشعر بجديّة
 وهمية ومسؤولية العلاقة بينه وبين مقومات
 حياته، وبذات الوقت يحافظ على حياة
 الآخرين.. □

السيرة الذاتية

رولا عبدالرؤوف حسينات، كاتبة من
 مواليد الأردن، ١٩٧٦، حاصلة على
 بكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة
 اليرموك.

لها قصة بعنوان (المهاجر)، وقصة
 بالإنجليزية، لويب الحياة (The
 valuable treasure)، وهي
 عضوة في تجمع (ناشرون)، وهو تجمع
 أدبي عربي، فضلاً عن كونها عضوة في
 رابطة الأدباء والمبدعين ٢٠١٤.